طبيعة النظام الاشتراكي

اذا كانت الرأسمالية ، كما رأينا ، تجد في توجيه الاقتصاد فوائد جمة تجنيها في العديد من المجالات ، واذا كان الاستغلال الطبقي المصحوب بالقهر هو الاساس الذي تقوم عليه الرأسمالية في الداخل ، فان استغلال الشعوب الاخرى واخضاعها عن طريق القوة والتدخل والحروب بغية استغلالها ونهب ثرواتها ، هو امتداد خارجي للحالة الداخلية ، وكلاهما يعبران عن طبيعة رأس المال . وعلى النقيض من ذلك يقوم الاقتصاد الاشتراكي الذي يهدف سد الحاجات القصوى المادية والروحية للناس .

في احدى مراحل تطور الرأسمالية ، وعند بلوغ التناقض أشده بين العمل ورأس المال ، وتوفر ظروف موضوعية وذاتية في بلد معين ، تقلب الطبقة العاملة النظام الرأسمالي وتبني مجتمعها الجديد الخالي من كل أشكال استغلال الانسان لاخيه الانسان .

والطبيعة الاشتراكية للنظام الجديد ، تتنافى ، كنقيض ، مع اهداف وطبيعة النظام الرأسمالي وممارساته . فهي سعيا منها وراء تحقيق مثالها الاقتصادي « سد حاجات الناس القصوى المتنامية » ، تسعى الى خلق وفرة في الانتاج المادي والروحي عن طريق تخطيط مبرمج . وتسعى في الوقت نفسه الى خلق انسان جديد يتخذ موقفا مغايرا من العمل ويعتبر استغلال الانسان عارا بشريا وبعيدا عن الكرامة الانسانية .

ومن المفيد التذكير ان هذا الموقف الذي يتخذه الانسان في النظام الاشتراكي ليس مرده في الاساس النوازع العاطفية بل طبيعة النظام الذي أوجدت هذه العواطف . وما ينطبق عليه ينطبق ايضا على الرأسمال ونوعية عواطفه . فليس بالضرورة ان يكون الرأسمالي شريرا بالفطرة ، ولكن طبيعة رأس المال في دورته الشهيرة ، تطبع الرأسمالي بكل صفات رأس المال الذي « يدوس على جميع الشرائع الانسانية ويقدم على ارتكاب أية جريمة حتى ولو تعرض لحبل المشنقة » .

ان طبيعة الاشتراكية الخالية من الاستغلال الطبقي في الداخل تشترط خلوها — بالنتيجة — من الاستغلال والقهر في الخارج . وشعار الاشتراكية في خلق وفرة انتاج مادية وثقافية لسد حاجات الناس المتنامية تفترض تلقائيا نبذ الانتاج العسكري باعتباره هدرا لا يسد حاجة بشرية . واضطرار الاشتراكية اتباع هذا النمط من الانتاج مرده حماية مكاسب النظام الاشتراكي امام تطاولات الرأسماليين . فاذا كان التوجه للانتاج العسكري فيه انعاش للاقتصاد الرأسمالي في فترات معينة ، فان مثل هذا الانفاق في النظام الاشتراكي يسبب عرقلة ويوقع اضرارا بالغة في الاقتصاد ، واللجوء اليه — اضطرارا — ليس سوى من قبيل الضريبة الفادحة التي لا بد منها في ظل التطويق الرأسمالي وخططه الرامية لسحق الاشتراكية وحركات التحرر في العالم .

ان النظام الاشتراكي القائم على السلم الداخلي بعد ان انتفى فيه صراع الطبقات اثر سقوط طبقة الرأسماليين وكبار الملاكين المستغلة ، يحتاج الى سلم خارجي كشرط من شروط تطوره وازدهاره . وهو اذ تحدوه الامال بالانتقال الى النظام الشيوعي حيث وفرة الانتاج التي لا سابق لها في تاريخ البشرية ، وحيث تتحقق فيه شخصية الانسان — أثمن رأسمال في الوجود — على أتم وجه ، فانه يحرص على كل ما من شأنه توفير الجو الملائم لهذا التطور .

ليس من مصلحة النظام الاشتراكي في الحروب العدوانية التي تستهدف فتح أسواق